عُـرس خـالـي

أغوص في الزّمن البعيد؛ فتنقشع أمامي لوحةٌ جميلةٌ من الماضي الجميلِ، أرى فيها خالي يحضُر إلى بيتنا ليخبَر أمي بموعدِ عرسِه، و قد أحضر معه هديةً وقال:

-تفضلي يختي، هاظ هدمك.

تناولَتْه خجِلةً، وقلبها يرقص فرحاً للعرس، ولقطعة القماش الذي ستخيطه ثوباً مطرزاً (بعرق نساء رام الله ليوم العرس وقالت:

-ريتك سالم يا خوي، إحنا بدنا سلامتك، طلّتك عليّ بالدنيا كلها، الله يجعل التمّام ع خير.

-جهزتوا كل شي للعرس؟

-الحمد لله ، بدنا انسويه عرس مطنطن.

-الله يفرحك يخوي ويجعل التمام على خير...

فرحتُ كثيراً لقدوم العرس؛ اليوم سوف أسهر، وأشربُ من الشّراب الأصفر حلو المذاق، وربما أظفرُ بزجاجةٍ من المشروب الغازي، والذي وضعه خالي في برميلٍ حديديٍ كبيرٍ، وأضاف عليه قالبٌ من الثّلج الكبير جداً، أحضره من مدينة نابلس أمس في سيارة (الفولز فاجن) ذات الصّندوق الكبير؛ ليُبقي على زجاجات

(التنبو) السوداء باردةً فتقدّم للرّجال فقط، أما الأطفال، فإن ظفروا بكأس من الشّراب المحلّى، فهم في نعمةٍ وعافيةٍ كبيرين.

اليوم سأسمع الزّجال (الجلماوي) الذي سيطرب الأذان، وسيتمايل الشّباب فرحاً لهذه الأغاني، كما أنه يعرفني شخصياً، فقد بات في بيتنا قبل شهر عندما زار أبي، وحفظ اسمي لأنه يطابق اسم ابنه الكبير، فبت أمامه معروفاً.

التفّ حولَه في المساء الكبار يلبسون (الديمايات والحطات) ويحملون العصيّ، يلوحون بها في سهرةٍ جميلةٍ، أما الشّباب فهم أكثر عزيمةً ورقصاً، لأنهم لم يرقصوا أو يفرحوا منذ العام الماضي، كما أنهم يعلمون أن النّساء ترقبهم من فوق أسطح المنازل التي تطلّ على السّاحة، فلا بدّ أن يقدّموا أفضل ما عندهم، علّ أحدهم يجد مدحاً من أحداهن، ولعلّ إحداهن ستذكره على عين ماء (عين القصب) وهي تملأ جرّتها من (مزراب) العين...

صار الزّجال يصدح بصوته الجميل وسط القرية، ويردّد أجمل الأهازيج الشّعبية، فرحت جداً عندما ذكرني بمواويله، فقال:

عل الميج ميج يابو الميجانا

أعراسنا غناني يا عِزْ افرحِنا

عقبالهم الصغار يتجوزوا

وبعرسك يا بسام بدي أغنّي أنا

.....

ويجو الضيوف والخلان مع سوا

يتفرّجوا ع فرحك ورقصنا

واطرب فيهم ع مواويلي

وأغنّي ليهم عتابا وميجنا

شعرت بالزّهو عندما ذكر اسمي بين الحاضرين وصرت أنفِشُ كطاووس أصابته الشّمس بأشعتها بعد برودة قارسة، وتحلّقتُ مع الأطفال حوله، ليأتي الشّباب ويدفعوننا خارج حلقة الدّبكة، شعرت بنشوة النّصر عندما عدت إلى السّاحة من ثغرة أخرى، وتحديداً من تحت (ديماية) أحد العجائز التي قد لبسها (من فوق الحبل).

وفي صبيحة اليوم الثاني تجمعت بعض النّساء اللاتي يتقن فنّ الطبخ، وقد أحضرت كلّ واحدة منهن طَنجرةً من بيتها، وبدأن بطبخ الطعام، فصرنا نحوم حول موقعة الطعام كما الصقر يحوم حول فريسته، إلا أن انتهين من تجهيز الغداء، وضعنه على صواني حديدية، انتهين أمس من تلميعها بصابونة الزّيت البلدي لتزاد رائحته جمالاً، فغمرن الخبز بشراب اللبن ووضعن الأرز - الذي كان كومة كبيرة فوق (مشمع) بلاستيكي – فوقه ثم وزّعن قطع اللّحم البلدي عليه، وتم كلّ ذلك تحت إشراف جدتي الحاجة أمينة، فقد كانت صاحبةَ شخصية قوية، وإدارة حكيمة.

حاولت أن أحمل صنية الطّعام للضيوف، نهرتني جدّتي وقالت:

-ابعد غاد...انت كماك صغير، بتكب الصنيه على راسك بعدين.

-والله يا ستي بعرف أزم.

كنت أتمنى أن أحمل صنية الطعام فبهذا التصرف قد أدخل عالم الرجال.

-أقلك، تعال خذ دقموس رز وروح من هان...

قلت في نفسي: يا الله، اللحمة الهُم، والدقموس إلي! يللا بعد الغدا بوكل لحمة..

انتظرت مع الأطفال غداء الضيوف والرّجال من أهل البلد على أحرّ من الجمر، علني أظفر بقطعة لحم باقية.... جاءت الصواني خاليةً إلا من العظام التي نفرت منها كل اللحوم والشحوم وبقايا أرز باردة، أخذت مع أولاد الحارة وجبة أخرى منها، وجرينا محلقين في سمائنا ضاحكين.